Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا كلامه عن مثل هذا النظم ، يرى أن ليس فيه فضل إلا فى معناه أو متون ألفاظة ، وهو حين مدح هذا الكلام فى الأسرار[1] إنما مدحه من جهة براءته من تكلف السجع والموازنة ، مع أنه خطبة الكتاب ، وللخطبة شأنها لدى المؤلفين فى الاحتفال لها بالسجع والموازنة . لأنها تقع من الكاتب موقع المطالع من القصيد .

ونحن مع عبد القاهر فى أن مثل هذا النظم ساذج ، وان التصرف فى معانى النحو فيه ليس من طبقة التصرف فى مثل قول الصولى فى ابياته السابقة . فلو اذنبا دهر وانكر صاحب ، وان صنعة النظم فيه ليست من طراز الصنعة الدقيقة المتحدة الوضع ، كالمزاوجة والمقابلة . ولكن فيه مع سذاجته فى التصرف النحوى ، تناسبا وتلاؤما بين معانى الجمل ، وترتيبا واتساقا فى الفكرة ، فالصلة ظاهرة بين تجنب الشبهة والعصمة من الحيرة ، ثم بين هذين وبين المعرفة والتثبت ، وهكذا بقية الجمل . ثم فيه كذلك جمال الألفاظ ورشاقتها وبراءتها من التكلف والتصنع ، مع موافقتها للمعانى التى جاءت لها ، ووقوع كل لفظ منها فى موقعه ، وحيث يطلبه المعنى . حتى لو أردت أن تغير . فتضع لفظاً مكان صاحبه . لاختل المعنى ، وذهب حسنه « فالتقوى » تلائمها « الحلاوة » ولا تصلح لهما إلا « اذاق » ، و« الحق » يناسبه « العزة » ولا يجعل معها أبلغ كلمة « أشعر » للطفها فى الدلالة على الهيبة ، والإشعار بالجلالة والقوة ، وهكذا « برد اليقين » و « ذل اليأس » وما إليها من كلام الجاحظ .

نعم ، فى مثل كلمة الجاحظ جمال كثير . كالذى أبناه ، ولكن صنعة النظم فيه أقل من الصنعة التى هناك ، ومجهود الناظم فى نظمه أضعف من ذلك المجهود ، وهذا بين ظاهر . ولكن هل يفقد هذا النظم الساذج حظه من الروعة والتأثير ؟ ، وهل تنزل درجته فى البلاغة عن ذلك النظم الدقيق الصنع ؟ .

ظاهر كلام عبد القاهر على ذلك . إذ يرى أن لا فضيلة حتى ترى فى الأمر مصنعا يدق النظر فيه ، ويصعب الوصول إليه ، ويرى الشيخ نوار أن عبد القاهر قد بالغ هنا وهضم هذا النظم حقه ، فهو نظم بليغ إلا أن بلاغته أقل من بلاغة ذلك النظم الدقيق ، والبلاغة درجات كثيرة[2] .

---

(١) ص ٦ ، ٧ .

(٢) مذكرة النظم ص٣٥ – ٣٧ .